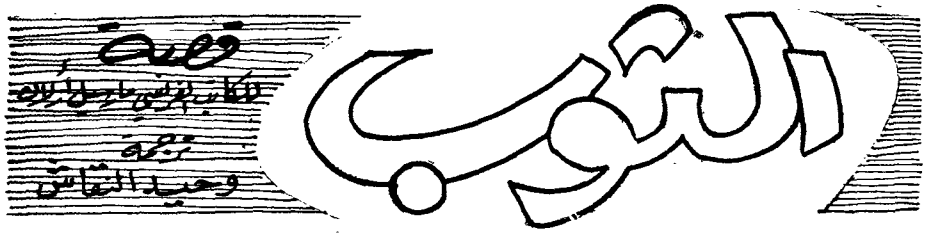

لم نعرف شيئا حتى اللحظة الاخيرة . انه ثوبها ، ثوبها على الخصوص هو الذي خدعنا . منذ خمسة عشر يوما والحديث يدور حوله . فان توصي في المدينة على ثوب عروس ، وان تذهب الى هناك اربع مرات من اجل « البروفات » ، وان تحتاج من الخياطة ان تحضره بنفسها ليلة الزفاف آتية بالقطار ثم بالعربة ، لو ان ذلك حدث من فتاة اخرى ، لاثار العجب . ترى هل نسيت الى هذا الحد ، في أقل من عام بعد موت توماس ، حبها الاول ، حبها الجميل ؟. لا بد وان خيال الفتى سيخرج من قبره المجهول ليلة العرس ليشدها من قدميها ويقول لها : « لقد تحابينا منذ الطفولة . وكنا ، ونحن خطيبان ، نشكل اجمل رفيقين في القرية واذ كنا نمر في امسيات الصيف جنبا الى جنب امام الدور ، نكاد نتلامس تقريبا ، كان الناس يبتسمون على عتبات المطابخ في الظلام، ملوحين بايديهم وهم يتهامسون : « هاهما العاشقان . »

وقبل حكاية الثوب ، كان البعض ما زالوا يدافعون عنها . وقد كانوا يديرون لها ظهورهم ـ ولم يكن ذلك بوصفهم اصدقاء لتوماس ـ منذ اليوم الذي جاء فيه شخص اخر ليجلس على مصطبة دارها مكان الراحل، شخص غريب ، احد رجال الشرطة . ولكن الرجال العجز كانوا يقولون وعلى محياهم ترتسم امارات الطيبة : « حسن . لقد انتهت الحرب : يجب على الانسان ان يعيش في الحاضر ، ولا يحيا المرء مع ميت . ثم ان الاب يمكن ان يختفي. فماالذي ستؤول اليه اذا ما صارت وحيدة ؟ » غير انهم كانوا يضيفون : « ومع ذلك فقد كان بوسعها ان تنتظر قليلا . »

ولم يفهم أحد شيئا من هذه العجلة ، او انهم كانوا يترددون في الفهم. وكل ما ارجعوه في الماضي الى الحزن ، بدا انه لم يعد ينبع الا من اللامبالاة: فبعد موت توماس ظلت حبيسة حجرتها لاسابيع طويلة ، حتى انه بعد ذلك لو تصادف ان التقى بها احد وحدثها عن الميت، لكانت تجيب ببطء، جامدة في مكانها ، والذهول باد عليها . وفي الزيارات الاولى للشرطي كانت بعض الشكوك ما زالت موجودة . فالحقيقة انه عندما يأتي شاب كل يوم لزيارة فتاة يافعة ويجلس بالقرب منها ويتحدث مع والدها ، فان المرء ليدرك ما تعنيه تلك الامور . وكل مساء كان الشرطي الممتلىء يأتي على الدراجة ويجلس ، ويتكلم حتى مهبط الليل . غير ان الخبر انتشر عن طريق اعلان الزواج في الكنيسة . والان ، ها هم يستعملون طرقا كانت تستعمل في زمن راح ، وهذا الثوب الموصى عليه في المدينة ، والمسرح الذي سيقف عليه المغنون واغصان الزينة ، كل هذا الذي كان يتم ترتيبه في الفناء منذ ليلة الزفاف ادى الى تأكيد الخبر .

ومن الفناء الى المطبخ ، ومن المطبخ حتى الحجرة ، كانت تمر لوسى ، قائلة لكل واحد كلمة ، مادة يدها وقد بدا عليها انها توافق على كل شيء وتعجب بكل شيء . وفي الايام السابقة لم يفت الفتيات اللاتي في مثل سنها ان يقلن : « انها تستطيع ان تدعونا ، ولكننا لن نذهب » . وقد كن هناك، كلهن تقريبا ، يدفعن مائدة او يضعن الازهار في وعاء ، وكن على الخصوص يرقبنها ، هامسات ، موزعات بين الابتسام والامتعاض . وفي عربات صغيرة حضر بعض الاقارب البعيدين من القرى المجاورة . وكانت مجموعة من الاطفال ـ كنت أنا بينهم ـ على عتبة الفناء ، تحملق فاتحة عيونها على آخرها . واحيانا كانت لوسى تلاطفنا على خدودنا اثناء عبورها ، فكنا نتراجع قليلا ، ولكننا كنا نتابعها بنظراتنا : كانت كبيرة رخصة ، ذات عينين معتمتين في وجه طويل بيضاوي. وكنا نعجب بخفتها ، وهدوء نبرتها ، وخطوتها السريعة : وقد كان من الممكن ان يقال انها لم تكن موجودة في هذا الحفل الا بصفتها مدعوة ، او احدى القريبات ، وان ما سيحدث في اليوم التالي لم يكن يعنيها الا قليلا . وفي حظيرة كان جسد خنزير مذبوح وممدود على حامل ينشر رائحة دافئة مائعة . وكان الجزار ذو الاذرع الحمراء يخرج امعاء الحيوان ويرتبها في اناء .

وامام المنزل ، كان عجوز ضعيف البنية ، يبدو عليه المرض والخوف ، هو والد لوسى ، متكئا على عصا . قالت له احدى الجارات :

ـ اذن ، فالحفل سيقام غدا !

ـ نعم ! نعم !

تمتم العجوز بذلك ، وقد بدا عليه الضيق ، ودون جدوى بحث عن كلمة مما يقال في المناسبات ثم دخل الى المطبخ . واضافت الجارة :

ـ الحفل ، انهم يستطيعون القيام به فلديهم كل الامكانيات

ثم اضافت وهي تغمز بعينيها :

ـ لن تتبقى « لجنديهم » الا الفضلات .

وبدأ نوع من الحمى في الانتشار عند المساء . كانوا يترقبون العربة، وكانوا يتكلمون بشكل اكثر قوة ، وفي بعض الاحيان كانت تنفجر ضحكة. وشرعت فتاة في الدندنة ، وفجأة سكتت واحمر وجهها اذ كانوا يغمزونها من مرفقها : كانت لوسى قد ظهرت . وقالت لها لوسى :

ـ اتذكرين عندما كنت نغني في المدرسة : « في الاماكن القريبة وفي الغابات ؟ »

ومع ذلك فيبدو لي انه كان علينا ان نكون حذرين . هذه النبرة المستخفة التي يشوبها قليل من العمق ، وهذا النشاط الذي لا ينقطع،ولكنه غير ذي هدف محدود ، وهذا الشحوب على الخصوص ، الذي كانت تبرزه تلك البقع الوردية على الوجنتين ، لم يكن كل ذلك ليتلاءم مع لوسى التي ستصبح عما قليل زوجة . ثم الحادث المفاجىء الذي وقع لها ، الم يكن من الواجب ان يكون بمثابة تنبيه لنا ؟ لم تكد الفتاة تخطو خطوتين حتى وكان والد خطيبها القديم يمر في الشارع في نفس اللحظة ، قامت لوسى بحركة تراجع ، ثم تقدمت وقالت : « مساء الخير » ، قالتها في صوت حار

ومكتوم في وقت واحد، كما لو كانت تريد ان تقول : « سوف ترى : كل شيء سيتضح . » ومر الرجل دون ان يجيب وحتى دون ان يدير رأسه. ولم تبد عليها الحيرة لذلك الا بصعوبة . لقد كنا هناك ، ولم يفتنا شيء من ذلك المشهد .

ووصلت العربة التي كانت تحمل الخياطة ، وهي سيدة ممتلئة لها عينان كعيني لعب الاطفال ، تلف حول رقبتها « ايشاربا » في قلب الصيف ومعها ثوب العروس ، في صندوق كبير من الكرتون . وهناك بعيدا في احدى زوايا الشارع ظهر الخطيب على دراجته ، كما تعود في كل مساء بعد الانتهاء من جولته . منذ زمن طويل ، على قدر ما تستطيع ان تحفظ ذاكرتي ، كان رجال الشرطة يخيفونني على الدوام . ليس هناك غيرهم من تتوفر فيه هذه العمودية في الشكل ، وتلك الكبرياء ، ثم هذه الثقة الهادئة بالنفس . لم يكن ذلك الرجل قد تجاوز الاربعين الا بقليل . كان ضخما ، قويا ، منتفخ البطن قليلا . ولم يكن لعمل الحزام والجراب الا ان يزيدا هذا البروز الخفيف في البطن اكثر . كان سالفاه حليقين ، وله عينان مضيئتان في وجه زيتوني . وكنا نفهم جميعا ان فتاة ، وفتاة جميلة ، يمكن ان تكون فخورة اذا ما تأبطت ذراعه ، واكثر من واحدة من رفيقات لوسى كان عليها ان تشعر بانها قد حرمت من حقها الشخصي . كنا قد تجمعنا حول العتبة من كل جانب ، اما هو فقد ترجل عن الدراجة واسندها الى المصطبة ، ثم تقدم الى المطبخ رافعا قبعته ، والصق على خدي لوسي قبلة ذات رنين . وقال :

ـ بوسعنا اخيرا انانبدي اعجابنا بهذا الثوب الجميل .

ولف ذراعه حول خطيبته ، وظل محتفظا بها أزاءه ، غير انها تخلصت برفق ، تخلصت : لا ، لقد بدت وكأنها تنساب خارج الوثاق . وقالت له :

ـ لم يحن الوقت بعد . غدا .

ـ ولكن لي رغبة في رؤيته ، انني متعجل ، اذ علي ان اذهب الى ودفعتها امامها للصعود الى حجرتها . وقال الخطيب :

متخذا منا شهودا على رغبته الشرعية في الاستطلاع . اما هي فقد اعادت بهدوء :

ـ غدا ...

ونظرت اليه للحظة ، وهزت رأسها ، ثم امسكت الخياطة من ذراعها ، ودفعتهاامامها للصعود الى حجرتها وقال الخطيب :

ـ حماي العزيز ، أن للسيدات اهواء ، ولكن لهن الاحترام .

وجلس مفتوح الساقين ومرفقه على المائدة وجذب منا اثنين وحطهما وجها لوجه على فخذيه الفليظين . وقال :

ـ اذن ، ايها الكسالى ، سيحين في الحال دوركم .

وهبط الليل ، وغادرنا الشرطي ، ولكننا لم نكن نفكر في الرحيل . وكانوا قد اشعلوا المصباح المعلق، ووضعوا على المائدة ثلاث فطائر كبيرة بالبرقوق ، وبعضا من شراب الليمون وبعض الفواكه . ولم نكد نلمس تلك الاشياء ، وكانت آذاننا مرهفة لاقل ضجة تأتي من السقف ، ولم تكن تسمع اي همسة . وذهبت احدى الفتيات مرتين لتطرق باب لوسى .

ـ لا تدخلي ، انني قادمة . دقيقة .

واخيرا انفتح الباب ، وسمعنا ، على السلم ، وقع خطى سريعة ، اصبحت ، فجأة ، أشد بطأ . وظهرت لوسى ، بيضاء تماما ، من قمة رأسها لاخمص قدميها . تراجعت لحظة ، امام نظراتنا ، بينما سرى لون من الرعشة في وجهها حتى وصل الى رقبتها . ثم تقدمت الى وسط القاعة ، وازاحت الاذرع ، وقالت :

ـ ها هوذا !

وظللنا في البداية بلا حراك .

وصاحت احدى الفتيات : ـ

ـ حسنا يا عزيزتي .!

ومر بعض الوقت لم تسمع غير كلمات الاستحسان ، واطراءات اياد تداعب الثوب ، وكانت هناك بسمات مغتصبة او اخرى مسحورة . وكان يبدو على لوسي انها استعادت طمأنينتها ، كانت تتأهب للرد على الاسئلة وتدور حول نفسها وتستسلم للتقبيل المصحوب بالمدائح . ثم جلست لوسى بيننا ، وفي هذه المرة ، افرغ كل منا كأسه ، واكل نصيبه من « الجاتوه » .

ـ الن يدركك الخوف غدا في الكنيسة ؟

وابتسمت دون ان تجيب . انني لارى صورتها تعود لذهني : عذبة ومنكتمة ، منتظمة الملامح ، وربما قويتها الى حد ما (كنا نعرف فتيات أشد منها جمالا) ، ثم فجأة تتحول الى انسانة متوهجة ومبتهجة ، ولكنها ايضا اشد تكتما في توهجها . وظلت على هذا النحو حتى اللحظة التي ابتعدت فيها جميع صديقاتها ، واحدة تلو الاخرى ، او اثنتين اثنتين . وعندئذ قامت واقتربت من مجموعتنا الصغيرة من الاطفال ، وكنا جلوسا امام الطرف المنخفض من المائدة

وقالت اذ هي منحنية نحونا :

ـ حسنا ، هل نجحت في صنعه، ثوبي ، ثوب زفافي ؟

لست ادري ما الذي اهتدينا الى قوله ردا عليها . لم يكن يبدو انها تسمعنا . وازداد انحناؤها فجأة ، وهمست :

ـ هل تذكرون ، توماس ، هل تذكرونه جيدا ؟

ولكن ، اذ كانت الخياطة تقترب بدورها ، استأنفت لوسى

ـ اذن ، هل تجدونه جميلا ؟

ثم قبلتنا . وقالت لنا الى اللقاء ، ووصلت الى حجرتها .

كيف لنا ان نتأخر اكثر من ذلك؟ انها لمعجزة الا يأتي للبحث عنا احد . لقد رأينا الثوب الجميل ، وتذوقنا اطايب الحفل . ومع ذلك فقد مكثنا غير قانعين . وعندما انفتح الباب على الشرطي الذي كان عائدا من « دوريته » ، استحوذ علينا فرح جديد .

صدر حديثا عن دار بيروت للطباعة والنشر

ق.ل.

١ ـ بودلير ترجمة الدكتور فؤاد ايوب ٢٥٠

٢ ـ شوبنهور ترجمة الدكتور احمد كوى ٢٥٠

٣ ـ قصص مختارة من الادب الانكليزي
ترجمة الاستاذ رشدان ١٠٠

أكان ذلك بفعل الحرارة ، أم التعب ، أم انه بكرم فائض قد استجاب لما املته الظروف ؟ كان نفسه قصيرا ، وجبهته تقطر ، عندما ارتمى على مقعد وفك حزامه .

ـ يا لله يا حماى العزيز ، كم هي رائعة في رشاقتها الاشياء الطبيعية في بلدكم !

ثم اضاف وهو يفرك يديه :

ـ وزوجتي الصغيرة ، الن اقول لها طاب مساؤك ؟

فنادى الاب :

ـ لوسى !

ومن الحجرة ، اجاب صوب مختنق :

ـ نعم .

وسمعنا باب دولاب يصر ، ثم عاد كل شيء الى الصمت .

لطالما تساءلت عما دار عندئذ في رأس الرجل الممتلىء الذي كان ينشف جبهته ، او عما دار في قلبه . اي غريزة قد انذرته ، اي حدس، اي تنبؤ . آه ان كل حياة ، حتى اشد الحيوات تواضعا ، لها اشعاعها القدسي . ثم ان خطيبنا هذا لم يكن مجرد جندي بسيط ، كان معاونا في مركز الشرطة . لقد قام فجاة ، وجرى ، وتسلق السلم . وسمعنا صرخة، وضوضاء صراع ، ثم صوت شيء يتدحرج على الارض ، ثم انات وشهقات يسيطر عليها صوت حنون وقوى .

وكان الاب ، فاقد الحيلة عند نهاية السلم ، ينادي :

ـ لوسى ! لوسى ! ماذا جرى ؟

ونحن ، وقد جمدنا في مقاعدنا خوف مضطرب ، كنا معقودي الايدي، فاغرى الافواه ، نتساءل عبثا بنظراتنا .

وبدأ ان الصمت مع ذلك قد عاد هناك . كان الشرطي يتحدث بصوت خفيض ، واحيانا كنا نعتقد ان الفتاة ترد عليه بتنهيدة او بهمسة . ودام ذلك طويلا . ثم بحذر شديد ، نزل الشرطي على اطراف حذائه الى المطبخ. وما بدا لنا وجهه اشد اصفرارا مما كان عليه حينئذ . ورانت على عينيه غشاوة رطبة . ومد للعجوز زجاجة صغيرة ، وقال :

ـ يجب ان يحفظ هذا دائما في مكان مغلق بالمفتاح ، انه للغثران وليس للبشر ، وفي بعض الاحيان يخدع المرء .

ثم نشف جبهته ورقبته ، ومشى عدة خطوات في الحجرة ، وقال وذراعاه متشابكان وهو يطلق تنهيدة طويلة :

ـ آه ! ان ذلك لمفهوم .. مفهوم تماما ..

ولكنه ، وهو يواجه ملامح العجوز المفزوعة ، اضاف :

ـ اذن ، لقد انتهى ذلك ، فلنبعده عن رأسنا . والان لنتركها تنام .

واوثق حزامه ، وحاول ان يطلق ضحكة قصيرة ، واستنتج : ـ

ـ غدا ، يا حماي ، سوف ترى، ستجري الامور على ما يرام .

غير ان الزواج لم يتم في اليوم التالي ، فقد كانت لوسى ما زالت تعاني . لقد عقد بعد ذلك بخمسة عشر يوما . وقال البعض « هذا مؤسف » . ولكن اغلبهم قالوا « لا يجب ان نفرط في التساؤل عن هذا الموضوع . »

مارسيل ارلان

ترجمة : وحيد النقاش

دار النشر للجامعيين

تقدم احدث منشوراتها العلمية والادبية والسياسية

١٥٠.	فتوح البلدان	للعلامة البلاذري (٥ اجزاء مع الفهارس)	
٥٠.	تاريخ افتتاح الاندلس	مخطوط نادر لابن القوطية القرطبي	
١٢٠.	آثار اقدام	(في جزئين) بقلم اميل خوري	
١٢٥	السنة الزمان	مسرحية شعر	للدكتور سليم حيدر
٦٠.	فلسفة اللغة		الدكتور كمال الحاج
٢٠.	التربية ثورة وتحرر		للاستاذ واصف بارودي
٤٠.	اجواء التربية والتدريس		للاستاذ واصف بارودي
٣٠.	معجم مصطلحات علم النفس		للاستاذ منير وهيبة الخازن

٣٥.	الثقافةالانسانية وفلسفة التربية	مباحثة دوليةاعدتهاالاونسكو	
٢٠.	اينشتين	حياته وفلسفته	للدكتور محمد مرحبا
٢٠.	حرب او سلم	بقلم دالاس ـ تعريب عفيف الصمدي	
٣٥.	جندي مع العرب	مذكرات غلوب ـ تعريب عفيف الصمدي	
١٠.	فرانسواز ساغان	بقلم جورج هوردان ـ تعريب الدكتور جميل جبر	
٢٥.	احزان الشيطان	قصة لماري كوريللي ـ تعريب اميل بيدس	
١٠.	التعايش السلمي	بقلم هيوغينتسكل ـ تعريب جليل قصو	